

# ناريا

## بيجة الكوكب البلوري

### ملحمة بقلم فيال

التمتع الرضى في عيني بي ناريا وهي تتأمل نفسها بإمعان..  
كانت جميلة.. خلقت بهذا الجمال الفتان الذي لا يناسبه  
إلا العرش البلوري.. وهذا ما كان يؤكد لها والدها الملك  
دائماً.. من غيرها يستحق أن يكون وريثاً لعرش المملكة  
الشاسعة التي تضم أرجاء الكوكب البلوري بأكمله؟  
ابتسمت وهي تتخيل نفسها جالسة فوق العرش والتاج الملكي  
على رأسها يزيد جمالاً.. صحيح أن جمالها لم يكفها أبداً  
لتنال حب ورضى الشعب عنها.. لكنها لم تهتم يوماً بهذا..  
رغم ترديد والدها الملك في كل لحظة من لحظات حياتها  
أن رضى الشعب هو الأهم، لكنها ترى في هذا مبالغة شديدة..  
ما الذي سيعنيه لها رضى الغوغاء وهي جالسة على العرش،  
وهو أمر حتمي لا تشك بحدوثه؟  
حقاً.. ما الذي قد يخلّ بحياتها التي  
رسمت بإتقان منذ ولادتها..؟



# مملكة البلور



أرض البهاء والنقاء والتور



## مقدمة

**مملكة البلور..** تلك المملكة الشاسعة التي تضم أرجاء الكوكب البلوري بأكمله، تأسست على يد رجل شجاع قاد جيوشه لتوحيد المناطق كلها في الكوكب الذي عانى صراعاً وحروباً دامية دامت قرناً كاملاً، حاول فيها سكان المناطق الفقيرة الاستيلاء على المناطق الأغنى والأوفر حظاً بمناجم البلور.. والبلور هو المادة الرئيسية للطاقة والتي يعتمد عليها كل شيء في هذا الكوكب ليعيش.. من المركبات للطائرات وحتى إضاءة المنازل..

منذ الأزل، ومنذ اكتشف الإنسان الطاقة الكامنة في البلور المستخرج بكميات هائلة من الأرض، غدا هو المطلب الرئيسي للعالم كله، ولم يبحث أحد عن بديل له لاكتفاءهم به.. أصبح هو مثار الحسد بين الأقاليم، وسبباً للحروب العنيفة، كما كان سبباً لاستقرار بعض الأقاليم التي تمتعت بمخزون كبير من البلور..

بعد التوحيد، أصبح هذا الرجل الشجاع هو ملك مملكة البلور الأول ورمزها الأعلى على مدار السنين.. وبقيت المملكة موحدة وموزعة إلى تسع وثلاثين إقليماً، يترأسها إقليم يانّا وعاصمته ييناسّا، حيث استقر الملك الأول، ويتولى حكمها ذريته حتى يومنا هذا..

# الفصل الأول:

## الأميرة

عن القصر

ويناساً

والجمال البلوري

أَلقت الشمس بأشعتها الدافئة على مدينة يناسداً، عاصمة مملكة البلور، في ذلك الصباح البارد ككل صباح يطلع على المدينة.. فتلاًلاً القصر الواقع على ربوة مرتفعة بفعل تمازج النور بجدران القصر البلورية الشفافة.. وخفقت الرايات على أبراج القصر بنعومة وهدوء.. بدا منظر القصر المتألي فوق الربوة الخضراء خرافياً وكأنه ظهر من إحدى القصص الخيالية..

وفي داخل ذلك القصر، بدأت الحركة تدب رويداً رويداً في ممرات القصر وجوانبه والخدم والجنود يسارعون لتأدية أعمالهم اليومية دون إبطاء.. وفي أحد الممرات المفروشة بالسجاد السماوي المزخرف، أخذ الجنود يسارعون للاصطفاف على جوانب الممر وهم يحنون رؤوسهم ويتصلبوا في وقفاتهم تبجلاً للمارة أمامهم.. سارت الأميرة بي ناريا (ابنة البلور بلغة هذا الكوكب) على السجاد الغليظ دون أن تعير الجنود أدنى انتباه، حتى وصلت إلى إحدى الشرفات، فدلقت إليها متأملة المدينة الناعسة التي بدأت تتحرك وتمد يديها إلى الشمس طلباً للدفع..

وضعت بي ناريا يديها على حد الشرفة البلوري.. وضغطت عليه رغم برودته التي تغلغت عبر بشرتها الناعمة.. لكنها لم ترفع يديها وكأنها مستمتعة ببرودته وهي تتأمل المكان حولها.. حتى وقع بصرها على صورتها المنعكسة على أحد الجدران البلورية الصافية.. كانت بي ناريا ذات وجه دائري أبيض ببشرة صافية تكاد ترى الدماء تجري في عروقها.. يحيط الوجه شعر أسود غزير منهمر كالليل بطول ظهرها كله.. وعيناها واسعتين بحدقتين زرقاوين تنافس البلور المواجه لها في الزرقة والنقاء.. أنفها مستقيم ملكي بشمم.. وشفتيها حمراوين كالدم.. ويكمل ذلك الجمال قامتها الرشيقة وخصرها الصغير.. التمتع الرضى في عيني بي ناريا وهي تتلمس خصلات شعرها الأملس وتتأمل نفسها بإمعان.. كانت جميلة.. خلقت بهذا الجمال الفتان الذي لا يناسبه إلا العرش البلوري.. وهذا ما كان يؤكد لها والدها دائماً.. من غيرها يستحق أن يكون وريثاً لعرش المملكة الشاسعة التي تضم أرجاء الكوكب البلوري بأكمله؟ ابتسمت وهي تتخيل نفسها جالسة فوق العرش والتاج الملكي على رأسها يزيدها جمالاً..

صحيح أن جمالها لم يكفها أبداً لتنال حب ورضى الشعب عنها.. لكنها لم تهتم يوماً بهذا.. رغم ترديد والدها الملك في كل لحظة من لحظات حياتها أن رضى الشعب هو الأهم، لكنها ترى في هذا مبالغة شديدة.. ما الذي سيعنيه لها رضى الغوغاء وهي جالسة على العرش، وهو أمر حتمي لا تشك بحدوثه؟..

سمعت في تلك اللحظة صوت باب الشرفة يفتح، فالتفتت بانزعاج لترى المتطفل على خلوتها، والتي لا يجرؤ أحد على قطعها إلا والدها ووالدتها، وهما نادراً ما يفعلان ذلك.. لكنها رأت شاباً فارغ القامة وسيم القسما يذلف عليها بابتسامة قائلاً "كيف حال أميرتي هذا الصباح؟"

تأملت بي ناريا وجهه الجذاب وشعره العسلي الناعم يتطاير بفعل الهواء، وتلتهم عيناها الخضراوان وهو يمسك يدها مغمغماً "اسمحي لي أن أقبل يدك التي هي أبهى من أجمل بلور في كوكبنا.. وأن تتحملي إعجابي

وحبي الذي لا أستطيع السيطرة عليه كلما رأيته

وانحنى مقبلاً يدها فيما قالت بي ناريا بابتسامة وهي تخفي إعجابها خلف برودها "ألا تستطيع التخفيف من إطرائك هذا كلما رأيته يا مانيم؟ أم أنك لا تريدني أن أصدق أنك تعرف الكثيرات سواي من العائلة المالكة؟" رفع مانيم رأسه إليها قائلاً "ليس ذنبي يا مولاتي أن فتيات العائلة المالكة يسعين خلفي وقلبي لم يسع إلا خلفك أنت.. أم أنك تصدقين ما يرويه الحاقدون علي؟"

تجاوزت بي ناريا تلك النقطة وهي تسأله "متى عدت من إقليم هيمانيا؟"

أجاب "للتو واللحظة.. وأسرعت إليك لأراك قبل أن أقابل مولاي الملك وأعطيه تقريره عما حدث هناك"

عادت تسأله "وما الذي فعلته في الإقليم؟ هل استطعت التغلب على المشاكل هناك؟"

أجاب بابتسامة عريضة "بل قضيت عليها"

رفعت حاجبها معلقة "قضيت عليها في هذا الوقت القصير؟ كيف؟"

لوح بيده قائلاً "ولماذا تخدشين أدنيك بسماع تلك الأمور المزعجة؟ لا أحب أن يدور الحديث بيني وبينك فقط في أمور المملكة.."

ثم اقترب منها أكثر محيطاً خصرها بذراعيه قائلاً بابتسامة "هل فكرت في كثيرًا أثناء غيابي يا نارياسا؟"

عقدت بي ناريا حاجبها قائلة "لا تنس يا مانيم أنني الوريثة على عرش المملكة.. وسأصبح يوماً المسؤولة عن تسيير أمورها.. فيجب أن أحيط علماً بكل ما يجري فيها.."

ثم أضافت بحدة "ولقد أخبرتك مراراً ألا تستخدم هذا اللقب بتاتا"

تنهد مانيم قائلاً "أجل أعرف.. لا يستخدم هذا اللقب سوى والدك الملك، ولا يحق لي استخدامه بأي حال من الأحوال.. لكنه اسم يليق بك كثيراً.. نارياسا.. البلورية.. أنت حقاً جميلة كجمال البلور.."

ثم أضاف وابتسامته تتسع "ألن تسمح لي باستخدام هذا الاسم حتى بعد زواجنا؟"

قالت بهدوء وهي تدفعه بعيداً عنها "قطعاً لا.. وعليك أن تخفف من التفكير بأمر زواجنا الآن، فالوقت ليس ملائماً"

هتف مانيم باعتراض "لماذا يا أميرتي؟ كيف تريدني أن أحبس اشتياقي في صدري ولا أتعجل أمر زواجنا؟"

إنني أود لو يتم الزواج اليوم، بل الساعة، كي أضمن أنك ستبقين لي للأبد"

شمخت بي ناريا قائلة "هو ليس طلباً.. بل أمراً يا مانيم"

لم تنتبه لنظرة عينيه التي التمعت غضباً للحظة، قبل أن يقول متنهداً "مادمت أميرة قلبي، فطلباتك كلها أوامر.. مهما كانت"

وأمسك يدها ليضعها على قلبه مضيفاً "يعز علي فراقك يا أميرتي.. لكنه الواجب.. لا أريد للملك أن يغضب"

مني الآن"

فقالت "لا بأس.. لا تدع الملك ينتظرك طويلاً"

انحنى لاثماً يدها، وغادر الشرفة تاركاً إياها بمفردها.. وفور أن ابتعد اكفهرت سحنته وهو يجز على أسنانه

بغيط.. دون أن ينتبه لاقترب الملكة إلى أن أصبحت في مواجهته.. عندها تبدلت ملامحه مكتسبة لباقتة المعتادة وهو يقول منحنياً "يا لسعد يومي.. أن أرى جميلتي الملكة في يوم واحد، بل في ساعة واحدة؟ أي.."  
قاطعت الملكة بابتسامة محدودة "لست بحاجة للاستطراد.. الملك قد أرسل في طلبك"  
فقال مانيم على الفور "وأنا منطلق إليه حالاً"

ظلت الملكة تنظر إليه حتى غادر، ثم أكملت طريقها إلى الشرفة لتدلفها بهدوء.. فأحنت بي ناريا رأسها في هزة خفيفة وهي تقول "صباح الخير يا مولاتي الملكة"  
نظرت إليها الملكة مطولاً، ثم غمغت بشيء من الضيق "ما هكذا تحيي الفتاة أمها"  
فقالت بي ناريا على الفور "هكذا تحي الأميرة ملكتها.."

زفرت الملكة وهي تتقدم من الحاجز البلوري عازفة عن المجادلة.. هو شيء لطالما تجادلتا بشأنه حتى ما عاد يفيد ذلك في كسر عناد هذه الفتاة.. من أي شيء خلقت يا ترى؟ برودتها وشموخها لا ينكسران أمام أحد حتى أمها التي غمرتها بعطفها وحبها منذ الطفولة، لكن لم ينتج عن هذه التربية إلا أميرة متجمدة المشاعر خالية من الحب والعطف..

نظرت الملكة إلى بي ناريا الساهمة وسألتها "لقد عاد مانيم باكراً هذه المرة.. ما الذي جد؟"  
هزت بي ناريا كتفها مجيبة "لم يرض بإخباري أي شيء.. قال إن الأمن استتب أخيراً في ذلك الإقليم، وليس هناك من داعٍ للخوض في التفاصيل"  
قالت الملكة مقطبة "لكننا لا نعلم ما يفعله حقاً هناك.. كيف ينجح في تهدئة القلاقل فور وصوله فيما يعجز الآخرون عن ذلك؟"

قالت بي ناريا بابتسامة "إنه رجل موهوب.. هذا كل ما في الأمر"  
هزت الملكة رأسها معلقة "بل هذه القدرة تجعلني أشك في الأمر أكثر.. هناك شيء يدور في الخفاء لا يعلم أحد عنه"

قالت بي ناريا مقطبة "أتشككين في أمانة مانيم؟"  
تنهدت الملكة مجيبة "حتى لو كنت كذلك، ليس لدي أي دليل.. لقد أرسل الملك عدة نواب ليتفحصوا الأوضاع هناك ويكتبوا تقارير وافية للملك، لكن الجميع عادوا بنفس الإجابة.. الأمن مستتب تماماً.. وكأنهم قد اتفقوا على تضمين الجواب نفسه"

فقالت بي ناريا بحدة "ما يدور في ذهنك ليس صحيحاً.. أتقولين إن مانيم يرشوهم ليرسلوا تقارير زائفة؟"  
قالت الملكة بضيق "إن أخبريني، لماذا يعود الوضع للانفجار فور عودة مانيم إلى العاصمة بأسابيع قليلة؟"  
أجابت بي ناريا "لأنه إقليم له تاريخ طويل في الثورات والقلاقل.. أم أنك نسيت ذلك؟"

حاولت الملكة تجاوز قلقها بشأن الإقليم وهما تصمتان للحظات طالت، قبل أن تقول الملكة "بدا مانيم مختلفاً اليوم"

ابتسمت بي ناريا معلقة "هل بدا سعيداً جداً؟ لقد ألح عليّ في إتمام زفافنا قريباً.. يقول إنه لا يمكنه أن يصبر

أكثر من ذلك"

نظرت الملكة ملياً إلى وجه بي ناريا.. كانت ابتسامتها أبعد مما صورتها.. لم تكن ابتسامة غرور لأن شخصاً مثل مانيم في مكانته ووسامته يلاحقها، ولا ابتسامة سعادة كما تفعل الفتيات عادة، لكنها ابتسامة رضا.. وكأنه شيء متوقع أن يحدث لها بل ومن أبسط حقوقها..

فسألتها "أتظنين أنه يحبك؟"

قالت بي ناريا بشموخ "أظن..؟ يبدو أنك لم تنتهي له جيداً.. إنه غارق في حبي حتى النخاع.. لست أظن أبداً، بل أنا متأكدة.. فقط نظرة إلى عينيه تجعلني أدرك إلى أي مدى أنا أسكن قلبه.. هذه أشياء لا يمكن أن يخيب اعتقادي فيها أبداً"

غمغمت الملكة في سرها وهي تتذكر سحنة مانيم المكفهرة "يبدو أنك أنت من لا يعلم شيئاً يا ابنتي الواثقة.." ثم قالت "وأنت.. هل تحبينه حقاً؟"

قالت بي ناريا هازة كتفها "ليس من المفترض أن أحبه أنا، بل أن يحبني هو.. هذا برأيي هو الضمان الوحيد لي بأنني سأعيش حياة سعيدة.. فحبه لي سيجعله يطيعني في كل ما أطلبه.. الحب عبودية، وأنا لا يمكن أن أكون تحت عبودية أي رجل مهما كانت منزلته"

قالت الملكة باعتراض "ما الذي هيا لك أن الحب عبودية لصاحبه؟ هل تعتقدين أن حب الملك لي هو عبودية له؟" قالت بي ناريا بابتسامة صغيرة "لا أحب قول هذا.. لكن ربما هو يحاول كسبك إلى جانبه بهذا القول.. لا أكثر ولا أقل"

صدمت الملكة لما قالته بي ناريا، أل هذه الدرجة وصل تفكيرها؟ ثم قالت وهي تستدير بصوت غاضب "لقد تجاوزت حدودك بهذا القول.. يجب أن تعتذري على الفور.. ليس لي، بل لأبيك الذي تتهمينه بالكذب" وغادرت المكان على الفور تاركة بي ناريا التي لم تزايل البسمة شفيتها وهي تعود للنظر إلى المدينة مغممة "وهل أكون مخطئة عندما أذكر الحقائق التي أراها؟.."

\*\*\*\*\*

بعد مدة من الوقت، دلفت بي ناريا على والدها بعد خروج مانيم من عنده، فرأته واقفاً قرب أحد الجدران يتأمل الحقائق المحيطة بالقصر.. كان الملك رغم ارتدائه أغلى الأثواب وعلى رأسه تاج الملكة ذات الجواهر الأغلى في المملكة، يبدو بملامحه الطيبة ولحيته البيضاء التي يجذب شعيراتها مفكراً مجرد أب طيب حنون.. أب للمملكة كلها باختلاف شعوبها.. لذلك دائماً ما تعجبت بي ناريا من كيفية إحكام قبضته على المملكة التي تطيعه بصمت وحب شديدين، ما عدا ذلك الإقليم..

اقتربت بي ناريا منه قائلة بابتسامة "كيف حالك هذا النهار يا أعظم ملك في الدنيا؟" التفت الملك إليها والابتسامة تغزو شفثيه مجيباً "كيف يمكن أن يكون نهاري وأنا أبدأه بالنظر إلى وجهك



الصباح هذا؟ من الطبيعي أن يكون سعيداً"

قالت بي ناريا بدلال "لكن يبدو أنك فضلت اليوم رؤية مانيم قبل رؤيتي.. أهو أهم مني؟"  
تنهد الملك مجيباً "إنها أمور المملكة يا نارياساً.. من الضروري أن أتأكد من كل ما يجري في مملكتي كي أطمئن عليها.."

ثم ابتسم قائلاً "ولكن مانيم لا يختلف في شيء عنك.. سرعان ما ستصيران واحداً في نظري"  
قالت بي ناريا عاقدة حاجبها "إنني لم أقل إن هذا سيحدث سريعاً"  
رفع الملك حاجبيه معلقاً "ولم لا؟ ألستما متفقين على الزواج؟ فما الداعي للإبطاء؟"  
هزت بي ناريا كتفيها مجيبة "إنني لست مستعجلة.. لا أريد أن أربط نفسي بزواج وأولاد بهذه السرعة.. مازلت صغيرة على ذلك"

لم يمنع الملك ابتسامته من الظهور على شفثيه وهو يقول "الثالثة والعشرون سن صغيرة بالفعل يا بي ناريا..  
لكن كل الفتيات اللواتي في سنك قد تزوجن منذ زمن وأصبحن أمهات.. ولم يتأخر إلا أنت"  
سارعت بي ناريا لتقول "لكن أنت لم تنشئني على هذا الأساس يا أبي.. أنت زرعت في رأسي أنني وريثة للعرش أكثر من أنني فتاة ستصبح زوجة وأم.. الزواج يحتل المرتبة الثانية بعد الحكم، وأنا لست مهتمة بالزواج أصلاً"

فقال الملك بنظرة حزينة "لست أدري حقاً إن كنت قد ظلمتك بهذه التنشئة التي حرمتك من الحياة بشكل طبيعي.. إن أفكارك تزج والدتك وتقلقها، وهي تحملني مسؤولية ذلك"  
أشاحت بي ناريا بوجهها قائلة "لست أرى ما يسوء في أفكاري وتصرفاتي.. ومادمت أرضيك فلا يهمني أي شخص آخر"

قال الملك والضيق يكتنف وجهه "لماذا تعاملين أمك بهذا البرود؟ كانت دائماً تتمنى ابنة مثلك تصبح صديقة لها تؤنس وحدتها وهي التي لا أصدقاء لها.. لكنك جافة كثيراً معها بشكل يؤلمها"  
نظرت بي ناريا بصمت إلى الحديقة والملك يضيف "حاولي أن تتقربي أكثر من والدتك.. ربما أنت جافة المشاعر لأنك لا تحتكين إلا بي ورجال السياسة في بلاطي.. لا تحاولين قضاء أي وقت مع والدتك أو مع فتيات العائلة المالكة في أي مناسبة"

قالت باستهتار "وما الذي سيجمع بيني وبين أولئك الفتيات التافهات؟ لا يشغل عقولهن الصغيرة إلا الأمور التافهة.. الحب.. الزواج.. والأطفال.. وطبعاً الغيرة من بعضهن البعض لأتفه الأسباب.. كيف تريدني أن أجد شيئاً أتحدث به مع مثل تلك الأشكال؟"

قال الملك مقطباً "ومع ذلك، أرى أنهن أكثر طبيعية منك يا نارياساً.. ليس من الطبيعي أن نرى فتاة تجادل الوزراء والمستشارين في قرارات المملكة ولا تنجح في تبادل حوار عادي مع أترابها"  
فقالت بي ناريا هازة كتفيها "إذن سأكون أنا الأولى.."

زفر الملك بضيق وهو عاجز عن إقناع عقلها العنيد، عندما دلف المستشار الأول على الملك قائلاً "مولاي.. لدي

تقرير عاجل ورد إليّ.. أحد نوابك يريد رداً سريعاً على هذه المسألة"

فربت الملك على كتف بي ناريا قائلاً "نارياساً.. أنا أمرك أن تذهبي إلى والدتك وتقضي معها بعض الوقت.. وكوني لطيفة معها، أرجوك"

قالت بي ناريا على الفور بدون أن يبدو ضيقها على وجهها "أمرك مطاع يا مولاي"

وخرجت بخطواتها الشامخة دون أن تلقي نظرة على المستشار وهي صامتة..

توجهت من فورها إلى جناح الملكة كما أمرها والدها وهي تزفر بضيق وحنق كتمته في صدرها ولم يبد على تقاطيع وجهها الباردة كعادتها.. لم عليها أن تكون كباقي الفتيات؟ لم عليها ألا تكون أفضل منهن وأحكم عقلاً؟

لقد عمل الملك طوال سني عمرها على تنشئتها تنشئة لا تختلف عما قد يحصل عليه ولي العهد لو كان رجلاً..

خاصة أنها ابنته الوحيدة.. والآن بعد تلك السنوات يطالبها بأن تكون فتاة فارغة العقل؟ بل ويطلب منها

الإسراع في الزواج من مانيم.. لكنها تجزع من فكرة الانضواء تحت جناح رجل.. لقد أنشأها الملك على أنها

ستكون الملكة في يوم من الأيام، ستكون الأميرة الناهية وسيطيع جميع رجال المملكة أوامرهم.. فكيف بعدها

تكون تحت رجل يملي أوامره إليها؟..

وصلت في تلك اللحظة إلى باب جناح والدتها، فاستغربت عدم قيام الحارس الواقف قربها بفتحه لها.. فقالت له

بجفاء "ألن تقوم بعملك؟ أم أنني يجب أن أطلب ذلك منك في كل مرة؟"

قبل أن يتفوه الحارس بكلمة جاءت إحدى وصيفات الملكة التي لم تتعرفها بي ناريا من بين الكثيرات وهي تقول

لها "أسفة يا مولاتي.. لقد أمرت مولاتي الملكة بأن تبقى في خلوة ولا يدخل عليها أحد أبداً"

عقدت بي ناريا حاجبها متسائلة "لماذا؟ ما الأمر؟"

أجابت الوصيصة وهي تحني رأسها "ليس من حقي أن أسأل عن السبب.. لقد طلبت مني أن أمنع أي شخص

يريد الدخول إليها حتى تقرر هي ذلك"

فاتجهت بي ناريا إلى الباب قائلة "افتحه أيها الحارس.. يجب أن أقابل الملكة الآن"

وقفت الوصيصة أمامها قائلة "أرجوك يا مولاتي.. ليس مسموحاً لي بإدخال أي شخص كان"

صاحت بي ناريا في وجهها بعنف "أتجروئين على منعي من الدخول؟ ألا تعرفين عاقبة تصرفك هذا؟"

بدأت الوصيصة ترتجف وهي تقول محاولة الإبقاء على ثباتها "سامحيني يا مولاتي.. إن أوامر مولاتي الملكة

صريحة.. وهي قد نبهت عليّ ألا أسمح لأي شخص بالدخول.. وقد اختصت أنت بهذا الأمر"

قالت بي ناريا بغضب "أنت تكذبين.. لا يمكن للملكة أن ترفض رؤيتي وتطالبك بمنعي من الدخول.."

وسارت نحو الباب خطوتين، لكن الوصيصة قامت بشكل لا إرادي بإمساك ذراع بي ناريا وهي تقول "كلا يا

مولاتي.. أرجوك"

دوّت صفقة قوية على خد الوصيصة وبي ناريا تقول بعنف "كيف تجرأت على ما فعلت؟ يبدو أن العمل على

خدمة الملكة قد أصابك بالغرور فتجرأت عليّ.. أنسيت من أنا؟"

التمعت الدموع في عيني الوصيصة وهي غير قادرة على الرد، فيما قالت بي ناريا للحارس "أخرج هذه الوصيصة

من هذا القصر.. لا أريدها أن تعمل هنا مرة أخرى"

قال الحارس محاولاً تلطيف الأمر "مولاتي.. ستنال الوصيفة عقابها وستنقل للخدمة في غرفة تنظيف الملابس.. لن تريها أبداً مرة أخرى"

صاحت بي ناريا في وجهه "أأنت أصم؟ لا تجعلني أعيد ما قلته وإلا طردت أنت معها أيضاً.. نفذ ما أقوله حالاً"

قالت الوصيفة ودموعها تنهمر من عينيها "اغفري لي يا مولاتي.. ليس خطئي أنني حاولت تنفيذ أوامر الملكة حرفياً.. أرجوك لا تطرديني فلن يقبل شخص ما أن أعمل عنده بعد أن أطرده من القصر، وعائلتي بحاجة ماسة للنقود التي أحصل عليها"

ألقت بي ناريا نظرة جامدة عليها وهي تقول للحارس "إن لم تخرجها من هنا حالاً فسوف أرسلها إلى السجن.."

غمغم الحارس "أمرك مولاتي"

اندفعت الوصيفة مبتعدة عن المكان وهي تجهش في البكاء والحارس يتبعها مشيراً لآخر كي يأخذ مكانه، فسارع الثاني لفتح الباب لبي ناريا التي دلفت إلى جناح الملكة الواسع ومنه إلى غرفتها الخاصة لتراها تجلس قرب النافذة العريضة تتناول إفطارها وحيدة.. فاقتربت منها بي ناريا قائلة "لقد جئت لقضاء بعض الوقت معك يا مولاتي.. إذ يبدو أن الملك يراني أفقد للمسة النسائية في شخصيتي"

فوجئت الملكة بمرآها وهي تراها تجلس على الكرسي المقابل لها، فغمغمت عاقدة حاجبها "ألم تخبرك جوين أنني لا أرغب برؤية أحد؟ لقد تعهدتها بالعقاب إن لم تفعل"

ابتسمت بي ناريا قائلة "لا تزعجي نفسك بأمرها.. لقد طردتها"

رفعت الملكة حاجبها وهي تقول "طردتها؟ لماذا؟"

قالت بي ناريا عاقدة حاجبها "لأنها منعنتني من الدخول.. ألا يعد هذا سبباً كافياً؟"

فقالت الملكة بحنق "لكنها كانت تنفذ أوامري.. أم أنك ترين أنها لا تستحق التنفيذ؟.. أليست لي سلطة حتى في جناحي الخاص؟"

قالت بي ناريا بجدية "بالطبع لك سلطة في ذلك.. لكن أوامر الملك واجبة التنفيذ، أليس كذلك؟"

سألتها الملكة مقطبة "هو أمرك بالقدوم إلي؟"

أجابت بالإيجاب وهي تحول بصرها للنظر من النافذة المفتوحة، فقالت الملكة بضيق "لم يكن عليه فعل ذلك.. أنا لا أريد صحبتك حقاً.. ولم يكن ذلك يستدعي طرد تلك المسكينة"

تساءلت بي ناريا بشيء من الاستخفاف "لماذا تهتمين بها؟ إنها لا تستحق أن ترهقي عقلك بالتفكير فيها، وهناك غيرها الكثيرات ممن سيخدمنك بأفضل منها.."

قالت الملكة بجفاف "ليس لك تقرير ذلك.. ومادمت قد لبيت أوامر الملك، فقد انتهى دورك هنا"

قالت بي ناريا بضيق "لم تبدين كارهة لوجودي هنا؟"



أشاحت الملكة بوجهها قائلة "بسبب تصرفاتك هذه التي ضقت منها.. إنك لا تقيمين وزناً لمشاعر أو ظروف أي شخص، وتصدرين أحكامك على الجميع دون الرجوع إليّ أو حتى إلى والدك.."  
فعلقت بي ناريا قائلة "لكنني لم أكن أجنب الصواب في أي شيء.. وإلا لتدخل أبي في الأمر"  
قالت الملكة بحدة "إن الملك مشغول بقضايا أهم مما تفعلينه.. إنك لم تصبحي ملكة بعد.. لذلك يحلو لك ممارسة الحكم على الخدم والجند في القصر.."  
نهضت بي ناريا قائلة "أنا واثقة بما أفعله، ولن أسعى لتغييره"  
ثم خرجت من الغرفة وحركاتها تنم عن ضيقها، فيما زفرت الملكة قائلة "ويل للمملكة في حكمك يا بي ناريا"

\*\*\*\*\*

سارت بي ناريا بعد انتصاف النهار وسط الحدايق الغناء التي تحيط بالقصر الملكي.. حيث انتشر حولها مجموعات من الفتيات والسيدات المنتميات للعائلة المالكة، وحولهن الوصيفات يتراخضن لتقديم ما يفرض عليهن من خدمات.. لاحظت بي ناريا النظرات المتوترة، وربما الخائفة، التي تلقيها عليها الوصيفات وهن يبتعدن عن طريقها بصمت.. فأدركت أن ما حدث للوصيفة هذا الصباح قد أثر فيهن.. ابتسمت برضا لأن ما فعلته أحدث فيهن هذا التأثير.. ليس هناك أفضل من القوة للسيطرة على هذه الغوغاء..  
لاحظت أيضاً أن الفتيات يتهاמשن كلما مرت بهن، وبعضهن يتغامزن ويكتمن ضحكاتهن بشكل أغاظها.. فتقدمت من إحدى الفتيات اللواتي كانت غارقة في همس ضاحك مع رفيقتها، فقالت لها بي ناريا بصوت تعمدت أن يصل للجميع "إن كنت تودين قول شيء فالأفضل أن تقولي بصوت عالٍ.. ليس من الأدب التهامس عن وريثة العرش من خلف ظهرها.."  
قالت الفتاة وهي تنحني بانحناءة بدت لبي ناريا هازئة والفتاة تقول "مع احترامي لك أيتها الأميرة.. لم أقصد أن اسبب إحراجاً لك بما يمكن أن أقوله"  
احتقن وجه بي ناريا غضباً وهي تقول بشدة "ماذا تقصدين بقولك هذا؟ كيف يمكن أن تخرجيني بأي حديث قد تنسجينه؟"  
هزت الفتاة كتفيها قائلة "لست أنسج شيئاً أيتها الأميرة"  
ازداد غضب بي ناريا، لكن قبل أن تتفوه بكلمة قالت الفتاة بسرعة "مادمت واثقة من صحة أفعال جلالتك، فلماذا تهتمين بما يقوله الآخرون عنها؟ إلا إذا كنت.."  
وتبادلت نظرة ضاحكة مع رفيقتها التي ألقت نظرة متوترة على بي ناريا، أما بي ناريا فقد تذكرت اتهام والدتها لها بأنها تتسلى بفرض سيطرتها على أهل القصر وخدامه.. أهذا ما يضحك هؤلاء الفتيات التافهات عليها؟ أيرونها تحاول فرض سلطة لا تملكها حقاً؟..  
وبعد صمت طال، والجميع يصيح السمع لما قد تتفوه به بي ناريا، قالت بصوت حاولت أن تكسيه ببرودة شديدة

"ما إسمك يا فتاة؟"

انحنى الفتاة انحناءً هائلاً أخرى وهي تقول "مارلا ابنة سوديل القيم على خزائن الملك.. يا مولاتي"  
أعطتها بي ناريا ظهرها على الفور وهي عائدة الى القصر، فيما وجدت مارلا رفيقتها تجذب كمها قائلة بقلق  
"ما الذي فعلته يا مارلا؟ لا ندري الآن ما قد تفعله الأميرة بك..  
قالت مارلا بنبرة هادئة وهي تنظر حولها الى الجمع الذي أخذ يتهامس وهم يبتعدون على المكان "لا تقلقي.. لن  
تستطيع فعل شيء.. أنا لست خادمة من خدم القصر حتى تلقي بي الى الخارج..  
قالت الفتاة بهلع "لكنها الأميرة.. والدها الملك لا يرفض لها طلباً..  
قالت مارلا بثقة "الملك لا يرضى بالظلم أبداً.. أنا لم أرتكب جريمة بالتهامس سراً.. مالم تقنعه الأميرة أنني  
أخطط لقلب الحكم"  
وأطلقت ضحكة هائلة وهي ترى نظرات الإعجاب لجرأتها في بعض الأعين من حولها..

\*\*\*\*\*

فتح الحرس باب قاعة الحكم أمام بي ناريا التي دخلت القاعة بوجه محتقن غضباً وخطواتها متسارعة حتى  
اقتربت من الملك الذي كان يتفحص بعض الأوراق في يده، ولما رأى منظرها قال بنبرة حانية "ما الذي كدر  
صفاء وجه أميرتي الحلوه؟"

ألقت بي ناريا نفسها على أحد الكراسي الفخمة القريبة من العرش صامتة مشيخة بوجهها.. فترك الملك ما  
بيده وقال لها "ناريا.. أنت تدرين أنني لا أتحمل رؤيتك متكررة.. فلا تتعبي قلبي أكثر من هذا"  
نظرت إليه بي ناريا بنظرة غاضبة، ثم أطرقت وهي تفرك يديها ببعضهما البعض مدة قصيرة، قبل أن تقول  
"لقد تعرضت للإهانة من إحدى فتيات القصر.. يبدو أن مكانتي تنهار كل يوم مهما حاولت أن أبنيها..  
ثم نهضت بغضب قائلة "كان بودي أن أصفعها أمام الجميع.. لكنني أريد أن أعاقبها بطريقة أشد.. لذلك  
أمسكت نفسي بصعوبة.."

قال الملك متعجباً "أذكر أنك تصفين فتيات القصر بالتافهات.. فلماذا تشغلين نفسك بهن؟"

قالت حانقة وأصابعها تعبت بخصلات شعرها بشيء من العصبية "لأنني الملكة المستقبلية.. من المفترض أن  
يكون لي احترام.. هيبتي.. لا أن أهان من أتفه فتاة الى أصغر خادمة في القصر؟"  
وسارت لتبدد غيضاها وهي تقول ضاغطة أسنانها "ألم يكف ما فعلته تلك الوصيصة الحقيرة هذا اليوم؟"  
سألها الملك وهو يعود لأوراقه "يبدو أن هذا لم يكن من أسعد أيامك يا أميرتي.. وما الذي فعلته لك تلك  
الوصيصة؟"

هتفت "تخيّل أنها حاولت منعي من الدخول الى جناح الملكة؟ يكفي أنها أخبرتني أن الملكة لا ترغب برؤية أحد..  
أما أن تحاول منعي بالقوة وتجذبني من ذراعي.. هذا ما أثار غيظي"

فقال الملك محاولاً تهدئتها "لا تحملي هماً يا صغيرتي، سوف أنزل بها أشد العقاب كي لا تعود لهذا مجدداً"  
لم تنتبه بي ناريا إلى أن والدها لم يكن جاداً في قوله، وهي تقول ملوحة بيدها "لا عليك منها.. لقد شفيت  
غليلي منها وانتهى أمرها.. ما يهمني هو تلك الفتاة التي تناولت علي قبل...."  
قاطعها الملك مقطباً "ما الذي فعلته لتلك الوصيصة المسكينة؟"  
هتفت باعتراض "مسكينة؟ لا تصفها هكذا يا أبي.. إنها خبيثة لا تستحق أي عطف من أي نوع.."  
قال الملك بشيء من الصرامة "ما الذي فعلته بها؟"  
غزاها التوتر وهي تلمح نظرة تعرفها كل المعرفة في عين أبيها، ثم قالت بعد تردد "لقد طردتها"  
زفر الملك بضيق وهو يغتمغم "بي ناريا.."  
قالت بسرعة "هذا ما تستحقه يا أبي.."  
قال بصرامة "كان من المفترض أن تكافئها على طاعتها الأوامر مهما كان السبب، لا أن تعاقبها.. أنت بهذه  
الطريقة أرسلت إشارة لجميع من في القصر أن الإلتزام بالأوامر يوجب العقاب.."  
قالت باعتراض "لكن أنا.."  
قال بشدة "من تكونين أنت؟ إن كانت مكانتك أنت، أو الملكة، أو أنا، تسمح بتجاوز أي أمر مهما كان تافهاً، فلن  
يبقى هناك نظام في القصر، ولا حتى في المملكة.. تعرفين أنني ضد أن يبيح أي شخص لنفسه شيئاً بدعوى  
مكانته، فكيف تفعلين هذا أنت؟.. أنت يا بي ناريا؟"  
خفضت وجهها بضيق وهو يردف بلهجة حاول تلطيفها "ناريا.. إنني أعدك لكي ترثي العرش.. لكي تحكمي  
عدداً لا يحصى من البشر.. فكيف تريدني أن أشعر بالراحة لقراري هذا وأنا أرى قلبك خالياً من الرحمة؟"  
ثم ربت على كتفها مضيئاً "إن كنت تريدني إسعادي وإراحة قلبي، فأعدي تلك الوصيصة الى عملها.."  
قالت بي ناريا مغالبة ضيقها "أمرك يا أبي.. لن يهنا لي عيش وأنا أرى ضيقك مني.. سأرسل من.."  
قاطعها الملك بابتسامة متسعة "لا ترسلي أحداً، وذهبي بنفسك إليها لإعادتها.."  
تطلعت إليه بعيون متسعة وهي تهتف "مستحيل.."  
قال الملك "بل هذا ما أطلبه منك.. اذهبي الى منزلها.. وشاهدي بعينيك كيف يعيش العامة بعيداً عن هذا  
القصر.. حاولي التقرب من رعاياك، كي يحبوك مدى الحياة"  
فتحت فمها لتعترض، لكن قطع حديثهما دخول المستشار الأول للملك بشكل مفاجئ الى قاعة العرش والتوتر  
باد على وجهه، وقال للملك وهو ينحني أمامه "معذرة يا مولاي.. هناك أمر عاجل ومهم قد حدث.. ولم أجد مفرأً  
من إبلاغك به في هذه اللحظة.."  
أشار الملك لبي ناريا قائلاً "اذهبي لأداء ما كلفتك به يا بي ناريا.. ووافيني بالنتائج لاحقاً.."  
قالت بي ناريا مدممة "لست مقتنعة حقاً بما تجبرني على فعله.. لكنني سأفعله إرضاء لك فقط.. ولا تهمني  
تلك الوصيصة في شيء"  
ثم نهضت مغادرة القاعة وهي تلاحظ انفعال المستشار وهو ينتظر خروجها.. وخارج القاعة قالت لأحد الحراس



"جهز لي المركبة حالاً.. واحرص على ألا يرافقتني في خروجي أحد أبداً"

قال الحارس بدهشة "ولا حارس واحد لحمايتك يا مولاتي؟"

قالت زامة شفتيها "ولا واحد.. واستعجل في تجهيز المركبة، فسأخرج بعد قليل"

ثم اتجهت إلى جناحها وقد غمرها الضيق.. إنها مضطرة للخروج بلا حراسة كي لا ينتشر خبر ما ستفعله للجميع.. فهي تعتبر ما ستفعله ضعفاً، وهي تكره الضعف بكل أشكاله، ولا ترضاه لنفسها..

بعد فترة قصيرة، كانت المركبة تشق طريقها بين طرقات المدينة الكبيرة التي غمرها نور الشمس الغاربة، لا تحمل إلا سائقها، وبي ناريا التي جلست في المقعد الخلفي واجمة.. ورغم انتشار استخدام المركبات التي تسير بطاقة البلور، إلا أن التقليد الملكي كان يحتم استخدام العربات التقليدية التي تجرها الحيوانات، وقد ارتأى الملك ألا يغير هذه العادة في عهده..

كانت بي ناريا قد استبدلت ملابسها الفاخرة الأنيقة بملابس عادية لا تلفت إليها النظر، وتوشحت بوشاح غطت به رأسها وجانباً من ملامحها في محاولة لإخفاء شخصيتها.. لكن المركبة الملكية المميزة كانت تلفت الأنظار حتماً في سيرها وسط طرقات المدينة.. ولما أصبحوا يسيرون في شارع خالٍ من المارة، أمرت بي ناريا السائق بالتوقف، وهبطت منها وسط الطريق الحجري مدممة "لماذا لا نستطيع الخروج باستخدام مركبة عادية كالآخرين؟"

والتفتت إلى سائق المركبة قائلة بأمر "سنكمل الطريق إلى منزل الوصيصة جوين سيراً.."

هبط السائق بدهشة وهو يقول "سيراً على الأقدام يا مولاتي؟ لكنه بعيد من هنا"

قالت "لا بأس.. سنسير حتى هناك.. وإياك أن تبوح بكلمة عن هويتي.."

قال وهو يسرع أمامها "أمرك مولاتي"

سارت بي ناريا على مبعدة من السائق الذي بدا قلقاً يتلفت حوله وكأنه يخشى أن يهاجمها أحد إن عرف هويتها وتقع مسؤولية ذلك عليه.. فيما هي سارت بهدوء وثقة يغلبها التعالي.. وهي تتلفت حولها تنظر لمدينتها لأول مرة نظرة مباشرة من دون أن يحجزها حاجز.. بدا الأهالي متفاوتين في المكانة والغنى.. والمنازل بعضها فخم بهيج وبعضها مظلم متداعٍ.. ورغم أن مرورها أثار الفضول من حولها، إلا أن أحداً لم ينتبه لشخصيتها وهي تحرص على تخبئة وجهها جيداً..

طال بهما السير مدة من الوقت وساقبها تتعبان وهي التي لم تستخدمهما في مسافات طويلة من قبل.. ولما وصلوا إلى المنزل المنشود وقفت بي ناريا فترة تتأمل المنزل الذي لم يكن فاخراً مرفهاً، لكنه كان أفضل من المنازل المتداعية التي مرت بها.. كان صغير الحجم، وقد بدأ يتشقق في أماكن عديدة موحياً بقدم عمره.. له حديقة صغيرة زرعت فيها بعض الأشجار والخضروات.. وفي جانب زرعت شجيرات تحمل أزهاراً بهيجة المنظر..

اقتربت بي ناريا من الباب وهي تشير للسائق ليبقى بعيداً.. وبعد تردد طال طرقت الباب، وانتظرت لحظات معدودة قبل أن يفتح الباب صبي لم يتجاوز العاشرة من عمره تبدو السماجة على وجهه وهو ينظر إليها من

أعلى لأسفل، ثم قال بلهجة حادة "ماذا تريدان؟ إن كنت تريدان الاستجداء فنحن لا نملك شيئاً"  
قالت ببرود "وهل أبدو فقيرة لهذه الدرجة؟"

هز كتفيه مجيباً "لا.. أحببت فقط أن أوضح هذه النقطة"

اقتربت امرأة من الباب وهي تنهر الصبي بعيداً.. ثم قالت "اعذريني على وقاحة الصبي.. لا أعرف كيف  
أستطيع أن أجم لسانه"

ثم تأملتها ملياً وهي تتساءل "هل أستطيع أن أخدمك في شيء؟"

سألت متلفتة في المنزل من خلف المرأة "هل جوين موجودة؟"

قالت المرأة وتعجبها يزيد "هل أنت من صديقاتها؟ لقد غادرت بحثاً عن عمل.. يمكنك انتظارها إن شئت فستعود  
بعد قليل"

ترددت بي ناريا وهي تنوي رفض ذلك، لكن العودة لهذا الذل من جديد جعلها تحجم عن ذلك وهي تجيب  
بالإيجاب، فسمحت لها المرأة بالدخول والجلوس على كرسي خشبي قرب طاولة متوسطة الحجم بدت بالية لكثرة  
الاستعمال.. وقربها جلس الصبي الوقح يبتسم لها ابتسامة لزجة، وقربه فتاة أصغر سناً ظلت مطرقة دون أن  
تلتفت وإن بدت تصغي بانتباه لما يدور حولها.. وفي الجوار يتعارك صبيان متقاربين في العمر لا يبدو أن  
أحدهما يتجاوز الخامسة.. بينما أسرعَت المرأة لتحضير بعض الشراب الساخن لضيفتها تساعدها فتاة تصغر  
جوين سنين معدودة..

ظلت بي ناريا تتلفت حولها متأملة المكان الذي بدا على شيء من رقة الحال وإن بدا نظيفاً مرتباً.. ثم انتبهت  
إلى عجوز تجلس في زاوية المكان ترمقها بنظرة متفحصة وهي تغزل بعض الخيوط على آلة غزل قديمة..  
جاءتها الفتاة الكبرى بالشراب الساخن ووضعت دون كلمة، لكن بي ناريا لم تمسه تعففاً وهي التي لم تعتد  
الشرب إلا في الأكواب المذهبة غالية الثمن في القصر.. ولا تكاد تشرب من الكوب ذاته مرتين أبداً..  
جلست المرأة قربها وهي تقول "اشربي يا ابنتي.. إنه لذيذ وسيدفئك.. يبدو أن الشتاء قد اقترب كثيراً.. قلت  
لي ما هو اسمك؟"

قالت بي ناريا بنبرة باردة "سأنتظر جوين.."

بدا هذا تلميحاً صريحاً أنها لا ترغب بالتحدث عن شيء حتى مجيء جوين، فصمتت المرأة بحيرة وهي تلتفت  
لتناول الفتاة الصغيرة كوباً آخر وتساعدتها في شربه.. ثم عادت تنهر الصبيين الصغيرين وتطالبهما بالتزام  
الهدوء.. أما الصبي الوقح فقد قال لبي ناريا بصوت متراخ "هل أنت صديقة جوين من القصر؟"

لم تجبه بي ناريا وهي تشيح بوجهها، فقال من جديد "وهل طردوك أنت أيضاً؟"

انتهرته المرأة بحق وهي تطالبه بالاعتذار.. في تلك الأثناء بدا أن الفتاة قد تضايقت من سخونة الشراب،  
فأعادته لصحنه بهدوء، لكنها ارتبكت قليلاً مما تسبب في سقوط الكوب وتناثر محتوياته على شقيقها وبي  
ناريا.. فصاحت بي ناريا بغضب "أيتها الحمقاء.."

ونفضت تنفض ملابسها مما أصابها من الشراب، بينما ارتبكت المرأة وهي تسارع لمسح ما انسكب من

الشراب قائلة باعتذار "سامحيني يا ابنتي.. إنها لم تقصد ذلك"

قالت بي ناريا بحدة "كان عليها أن تنتبه أين تضع الكوب.."

بدأت الفتاة مطرقة لا تتحرك وإن احمر وجهها، والمرأة تقول باعتذار أشد "سامحيتها.. إنها لا تستطيع الرؤية" نظرت بي ناريا إلى الفتاة التي لاحظت للمرة الأولى انطفاء عينيها، بينما بدأت الدموع تحتشد في عيني الفتاة وهي تغمغم بصوت هامس "أسفة.."

عادت بي ناريا للجلوس زافرة وهي تهز قدمها بنفاذ صبر.. وكادت تنهض وترحل من المكان بلا عودة عندما سمعت صوت الباب يفتح لتدلف منه جوين مرتدية ملابس متواضعة وملامحها تنم عن حزن وضيق.. لكنها فور أن رأت عائلتها حتى اغتصبت ابتسامة وهي تلاحظ وجود ضيفة في المنزل وإن لم تتعرفها.. سارع الصبيان الصغيران لملاقاتها بسرور وهي تقبلهما وتمنح كل منهما قرصاً من الحلوى.. فاقترب منها الصبي الأكبر وهو يمد يده متطلباً، عندها ابتسمت وناولته نصيبه بعد أن قبلته عنوة وهو يدفعها متأقفاً.. لكنه بعد ذلك ابتعد والابتسامة تملأ وجهه..

اقتربت جوين من بي ناريا وهي تقول لأُمها "لدينا ضيفة اليوم!.."

قالت المرأة "جاءت بحثاً عنك.. وهي تنتظرك منذ مدة"

قبلت جوين جدتها محببة، ثم قبلت أُمها بحنان، وجلست على كرسي قريب حاملة أختها الضريرة لتجلسها في حضنها وتناولها نصيبها من الحلوى ماسحة على رأسها بحنان وهي تنظر إلى بي ناريا التي لم تكشف الغطاء عن وجهها بتساؤل..

لا تدري لم شعرت بي ناريا كأن دلواً من الماء البارد صبّ على رأسها مطفئاً غضبها وضيقها وهي ترى ما يدور من حولها.. لكنها تجاهلت مشاعرها وهي تقول لجوين "هناك أمر يجب أن أنهيه معك.. هلا ابتعدنا من هنا؟"

بهتت جوين وهي تتعرف صوتها، وهبت مذعورة فاتحة فمها، لكن بي ناريا أشارت لها لتصمت بحزم وهي تخرج من المنزل وجوين تتبعها مذهولة والجميع مندهش لما يجري.. وفي الحديقة، بعيداً عن سمع السائق الذي لم تره جوين عند دخولها، وبعداً عن سمع عائلة جوين التي التصقت بالنافذة المفتوحة تنظر لما يجري.. قالت بي ناريا دون أن تكشف نفسها "أظنك قد عرفت من أنا.."

همّت جوين بالانحناء لها، لكن بي ناريا منعتها بعصبية وهي تقول "لا أريدك أن تشيرني لأحد عن هويتي بأي طريقة كانت.. لا أحد يعلم أنني قدمت إليك ولا أريد لأحد أن يعلم ذلك.. أفهمت؟"

هزت جوين رأسها إيجاباً وهي تغمغم "هذا شرف لي يا مولاتي.. ولكن لماذا؟"

قالت بي ناريا بضيق "لقد أتيت لأعيدك إلى وظيفتك في القصر.."

اتسعت عينا جوين بذهول وبي ناريا تشيح بوجهها قائلة "ستعودين للعمل كوصيفة للملكة.. هذا بناء على رغبتها ورغبة الملك"

ثم أضافت بحدة "لكن إن كررت ما فعلته معي مجدداً، فلن أكتفي بطردك.. أفهمت؟"



قالت جوين على الفور "طبعاً يا مولاتي.. لن أكرر خطئي مرة أخرى.. وأجدد اعتذاري لما حدث.. فأنا لم أقصد.."

أسكتتها بي ناريا بإشارة من يدها وهي تقول بترفع "لست بحاجة لاعتذارك فهو لا يفيدني في شيء.. لكن أتمنى ألا أرى وجهك مرة أخرى في القصر أبداً.. إياك والظهور أمامي في أي حال من الأحوال" أحنت جوين رأسها بخفة وهي تقول "أمرك مولاتي.."

ابتعدت بي ناريا للحظة قبل أن تلتفت قائلة "لا تخبري عائلتك بأنني قدمت إلى هنا.. قل لي لهم أنني رسولة من القصر إليك.. أفهمت؟"

وغادرت دون أن تنتظر رد جوين التي كادت تطير من الفرح وهي تسرع لأمرها تزف لها البشرى.. أما بي ناريا فقد عادت من الطريق ذاتة وفكرها غائب بكل ما رآته في منزل جوين.. هل حقاً لمس مشاعرها الدفء الذي يغمر ذلك المنزل المتواضع؟ لم تلمح الكثير من الابتسامات على الوجوه، لكن المنزل حمل دفناً وحباً أكثر مما رآته في القصر كله.. كما بدا أن الجميع يحبون جوين.. التماع السرور بدا واضحاً في الأعين لدى قدومها.. ماذا لو كان لها هي أخوة أو أخوات أصغر منها تلتهم أعينهم بذات النظرة لدى رؤيتهم لها؟..

\*\*\*\*\*

دلفت بي ناريا جناح والدتها الملكة التي تألق وجهها بابتسامة وهي تقول لدى رؤيتها "لأول مرة أراك تقومين بعمل يحمل شيئاً من الرحمة في جوانبه.. أتمنى أن تكوني قد تعلمت شيئاً من هذا الدرس" قالت بي ناريا ببرود "أي درس؟ لم يقل لي إن ما حدث كان درساً وجب عليّ حفظه" لم تغب الابتسامة عن الملكة رغم هذا التعليق وهي تسألها "ألم يسعدك ما فعلته لجوين؟ ألا تشعرين بالراحة عندما تسعدين شخصاً ما؟"

قالت بي ناريا بجفاء "بل أشعر بالذلّ.. ليس من مقامي استجداء وصيفة لتعود إلى عملها في القصر.."

قالت الملكة "ذلك ليس استجداء.. بل رحمة"

هزت بي ناريا كتفها موحية بعدم فهمها أو عدم اهتمامها بالأمر وهي تتقدم من النافذة تتطلع إلى الحداثق الغناء خارجها والتي رغم حلول الظلام إلا أن الأنوار المتفرقة في الحديقة تضفي عليها لوناً ساحراً.. ثم نظرت إلى الملكة التي انشغلت بمداعبة حيوانٍ ناعس يشبه القطعة بفراء وردي كثيف حتى لا يبدو أي ملمح من ملامح وجهه.. وبعد لحظة صمت غمغت بي ناريا "لماذا ليس لدي أخوة؟"

تجمدت الملكة صامتة للحظة، ثم نظرت إلى بي ناريا متسائلة "ما الداعي لمثل هذا السؤال الآن؟"

قالت بي ناريا هازة كتفها "إنه مجرد سؤال خطر ببالي اليوم"

قالت الملكة بتردد "لقد رزقنا بك بعد سنين طويلة من الانتظار.. وبعدك لم نحض بأي أطفال مطلقاً.. وقد بدا الملك راضياً بذلك، لذلك لم يحاول الحصول على أطفال آخرين بالزواج من أخرى"

لم تعلق بي ناريا مثيرة حيرة الملكة التي عادت تتساءل "أتشعرين بالضيق لذلك؟"  
قالت بي ناريا "لست متأكدة.. ربما أحببت أن يكون لديّ أخوة أو أخوات كي لا أشعر أنني وحيدة.. هذا شيء لا يستطيع الملك أن يمنحني إياه.."  
ثم أضافت بعد تفكير قليل "أو ربما لم يكن هذا ليسعدني، لا أريد أن ينازعني أشخاص آخرون اهتمام أبي، ولا الملك الذي أسعى إليه.. لذلك الحال هذا افضل لي بالتأكيد"  
قالت الملكة بضيق "أهذا كل ما يهملك؟ الملك؟"  
قالت بي ناريا "أجل.. هذا كل ما يهمني.. هل لازلت تشكّون في ذلك؟"  
عزفت الملكة عن التعليق وقد تأكدت من عدم جدوى ذلك.. بينما أضافت بي ناريا "أين أبي؟ هل لازال مجتمعاً بالمستشار؟"  
قالت الملكة وهي تمسح على فراء الحيوان في حجرها "لقد علمتُ قبل قدومك أنه استدعى الوزراء في اجتماع عاجل.. يبدو أن أمراً جلاً قد حدث فهو غاضب بشدة.."  
قطبت بي ناريا وهي تفكر في الأمر، لا يُغضب أبيها شيء إلا ظلم قد وقع على رعيته.. فمن هو الظالم يا ترى؟..  
في تلك الأثناء كان الوزراء يتبادلون النظرات المستنكرة وأعلامهم مركزاً يقول "حكم ذاتي؟ أي سخف هذا؟"  
قال الملك والتعب باد على صوته "هذا ما سمعتموه يا سادة.. الثورة عادت من جديد في هيمانيا ومطالب الثوار واحدة.. يريدون الانفصال عن المملكة دون تنازل أو مساومة"  
قال أحد الوزراء باستنكار "يطلبون منا اقتطاع جزء من مملكتنا ومنحها لهم عن طيب خاطر؟ هذا هراء.."  
قال الملك "إنها أرضهم بالأساس أيها الوزير.."  
تساءل المستشار "إذن أنت راضٍ عن طلبهم يا مولاي؟"  
أجاب الملك بحزم "قطعاً لا.. لن أتسبب في تفكك المملكة التي حافظ عليها أجدادي لسبعة أجيال كاملة.. لن أعيد الكوكب للقرون التي سادتها الثورات والفوضى والحروب.. لم نحصل على السلام الشامل إلا بتوحيد الكوكب كله في مملكة واحدة، ولن أتنازل عن هذا أبداً.. لكن.."  
ظلوا يتطلعون إليه مستفهمين، فقال وهو يعقد يديه أمام وجهه "هناك أمر استجدّ في هذا الإقليم.. أنتم تعلمون أن الثورات لم تبدأ فيه إلا منذ أقل من عقد واحد.. بالتحديد منذ سبع سنوات فقط.. فما الذي حدث في هذا الإقليم ليثور دون هوادة؟"  
قال أحد الوزراء "جميع الولاة الذين حكموا الإقليم خلال هذه السنوات قد أرسلوا تقارير وافية عن استتباب الأمن والعدل في الإقليم.."  
قال آخر "هذا ما تأكدنا منه.. هذا الإقليم محبّ للمشاكل.. وأراهنكم أن أول شيء سيفعلونه إن استجبنا لطلبهم هو هجومهم على أقرب إقليم وبدئهم حرباً أهلية.. إنهم شعب فاسد لا أكثر ولا أقل.."

قال الملك نافياً "لا أصدق هذا.. قد ينطبق هذا على جماعة منهم.. على ألف أو ألفين.. لكن أن ينطبق على إقليم كامل يبلغ سكانه عدة ملايين، فهذا ما لا أصدقه.."

تساءل أحد الوزراء بحدة "وماذا عن تقارير مانيم؟ هل هي مشكوك فيها أيضاً؟"

قال المستشار بحدة أكبر "لا يحق لك مخاطبة الملك بهذه اللهجة يا مردين.. حتى لو كنت عمّ مانيم، لكنك لا تملك أن تشك في نزاهة الملك ونظرته للأمور.."

صمت الوزير مردين على مضض بينما لم يعلق الملك بكلمة وهو غارق في التفكير.. كان بالفعل يشك في مانيم.. يشك في قدرته العجيبة على تهدئة الأوضاع بسرعة قياسية، ويشك أكثر بانفجار الوضع بعد عودة مانيم بمدة وجيزة..

ثم إن تقارير مانيم جميعها عائمة لا تحوي تفاصيل كثيرة، وطبيعة الفتى الماكرة التي لا يستطيع إخفاءها عن عيني الملك الحادثين تدله على أن أساليب الفتى ليست مسالمة تماماً..

نظر الملك إلى المستشار وقال مقاطعاً الأحاديث الجانبية بين الوزراء "أرسل مجموعة من الخبراء لتقصّي الأمر وبحث الأسباب الظاهرة والخافية لهذه الثورات.. أريد معرفة أصل الحكاية، وعندها نستطيع أن نختار القرار المناسب لحل هذه الأزمة للأبد، بما يضمن مصلحة الطرفين.."

غمغم مردين "الثورة لا تبغي إلا يد من حديد لقمعها.."

قال الملك بابتسامة "عندما أرغب باستخدام هذه اليد، فسأستشيرك في هذا قطعاً أيها الوزير.."

لم يعلق أحد على قوله بينما أظهرت بعض الأعين سخرية من الوزير الذي احتقن وجهه وهو يتشاغل بما أمامه من أوراق..

أما المستشار فقد ابتسم وهو يقول "سأمر بأن يتم هذا في أسرع وقت يا مولاي.."

\*\*\*\*\*

جلس الملك على كرسي وثير في جانب من جناحه يتأمل أوراقاً في يده بصمت.. كان الليل قد أوغل والهدوء قد عمّ القصر، لكن الملك لم يهدأ وهو ينتظر بصمت حتى سمع الطرقات التي علّت في المكان.. فأذن لصاحبها بالدخول وهو يزيح الأوراق جانباً.. وخلال لحظات كان مانيم يقف أمامه متسائلاً "ما الذي يدعو مولاي للسهر حتى هذه الساعة؟ الكل أخذ للنوم العميق.. وحتى النبلاء الذين تجمعوا للسهر والاحتفال في القصر قد عادوا إلى ديارهم.."

قال الملك وهو ينظر إلى مانيم "أمر هام قد منع النوم من عيني يا مانيم.."

وأشار له ليجلس على كرسي آخر، فجلس مانيم والدهشة تغزو أعماقه دون أن ينبس بكلمة.. وبعد لحظة صمت طالت قال الملك "ما الذي تفعله في هيمانيا يا مانيم؟"

ارتفع حاجبا مانيم للسؤال المباشر وقال "مولاي.. كما أرى تقارير كلها بين يديك الآن.. وقد أوضحت لك كل ما تبغي معرفته من قبل.. فما الداعي لهذا السؤال الآن؟"

قال الملك بحزم "لأنني أشم رائحة خديعة لا تفوتني.. لقد تهاونت في الأمر مدة طويلة لأسباب عدة.. في البدء ظننت الثورات كانت مجرد محاولة لجذب الاهتمام والحصول على حقوق منسية، وسعيت لتحقيق ذلك.. ثم اعتقدت أن هدف الثورة هو تغيير الوالي وتنصيب الثوار حكاماً للإقليم، وعينت رجلاً ثقة من هيمانيا والياً.. ومع كل هذا الثورات لا تخفت بل تزيد وتكاد تاكل الإقليم كله.. ما الذي يجري في هيمانيا بالذات لتثور بهذه الطريقة؟"

قال مانيم "إنه الطمع يا مولاي.. طبيبتك معهم وتساهلك جعلهم يطمعون أكثر وأكثر.. هناك شعوب يكفيها العدل والأمن لتبقى مطيعة.. وهناك شعوب كلما تساهلت معها أكثر كلما تمردوا أكثر.. هيمانيا تريد الحديد والنار كي تحني رأسها وتسير في ركب المملكة طائعة.."

قال الملك بحدة "وهذا أسلوب لا أَرْضَى به.. كل الشعوب تريد الأمن والسلام والعدل.. كل الشعوب تريد أن تحصل على حقوقها، وتربي أطفالها في بيئة آمنة.. حديثك عن الطمع والتمرد لا يقنعني.. أنا لست طفلاً لتغرر بي بكلماتك هذه.."

قال مانيم مقطباً "ما الذي تعنيه يا مولاي؟"

قال الملك بصرامة "ما أعنيه أنني أعرف ما يحدث في هيمانيا.. أعرفه وأعرف كل المتسببين في ذلك.. لكنني لا أملك دليلاً قاطعاً على ذلك، ومتى ما حصلت على الدليل، فلن أتوانى عن محاسبة المسؤولين محاسبة قاسية.. أنا لا أَرْضَى بالظلم.. وأنت تعلم هذا جيداً.."

كان هذا تهديداً صريحاً لمانيم جعله ينظر إلى الملك صامتاً وهو يفكر، ثم سمع الملك يضيف وهو ينظر في الأوراق بين يديه "ثم ما الذي كنت تفعله بالأوراق الخالية المذيلة بتوقيعي يا مانيم؟ لا أرى أيها هنا.. فما الذي كنت تفعله بها حقاً؟"

جمد مانيم قليلاً ينظر إلى الملك بصمت، ثم نهض واقفاً وقال وابتسامة تتلاعب على شفثيه "مولاي.. ما كان عليك مصارحتي بأمر كهذا.. في هذا الوقت وهذا المكان.."

قال الملك مقطباً "وما الذي ستفعله؟"

اتسعت ابتسامة مانيم وهو يقترب من الملك قائلاً "هناك الكثير مما يستطيع شاب مثلي أن يفعله بعجوز مثلك.. ولقد آن أوان التجديد لهذه المملكة.."

ولم يُسمع في تلك الليلة همس آخر في الجناح الواسع المظلم..

\*\*\*\*\*

في تلك الليلة، استغرقت بي ناريا في نوم عميق تخللته أحلام لا معنى لها.. كان ذلك اليوم قد شهد أعنف مجهود بذلته منذ تجاوزها مرحلة الطفولة.. فالسير لمسافات طويلة، إن صحَّ وصف المسافة التي قطعها بذلك،

كان مجهوداً عظيماً بالنسبة لها.. وشعرت أن ساقها تؤلمها بشكل جعلها ترمي اللعنات على رأس جوين قبل نومها والوصيفة تعتني بها عناية خاصة باستخدام الزيوت العطرية المريحة للأعصاب والتدليك المتمرس لساقها قبل أن تغرق في النوم بدون مقدمات..

لذلك ساءها بشكل كبير دخول الوصيفة عليها في الساعات الأخيرة من الليل وإغلاق نومها مما جعلها تقول بحدة وهي لم تنتبه من نعاسها بعد "كيف تجرئين؟ لم أطلب منك إيقاظي في هذه الساعة.. هل تريدين العقاب؟"

لكن لهجة الوصيفة وصوتها المرتجف أطار النعاس من عينيها وجعلها تنتبه لمنظر الوصيفة المرتبك وهي تقول لها "مولاتي.. لدي خبر عاجل ومحزن لك.. الأمر لا ينتظر الصباح بأي حال"  
نهضت بي ناريا جالسة وتساءلت بحدة "ما الأمر؟"  
قالت الوصيفة بصوت هامس "الملك.. لقد مات"

كتمت بي ناريا شهقة كادت تفلت من حلقها بصعوبة وهي تتطلع لوجه الوصيفة بعينين متسعيتين، ثم صاحت فيها "أهي مزحة؟ سأقتلك لو كان ما تقولينه غير صحيح"  
تدافعت الدموع في عيني الوصيفة وهي تقول بصوت مرتجف "كلا يا مولاتي.. الصدق هو ما أقول.. لقد أبلغني المستشار بالأمر قبل قليل وطلب أن أبلغك وأبلغ مولاتي الملكة بالأمر حالاً"  
شعرت بي ناريا بالدوار يلف رأسها وكأنها لا تزال في حلم لا معنى له.. الملك مات؟ كان هذا شيئاً غير مستبعد مع عمر الملك المتقدم، لكنه كان بالنسبة لها شيئاً مستحيلاً.. رغم أنها كانت تتلهف للجلوس على العرش، لكنها لم تربط يوماً بين هذا وبين موت والدها، كانت تتوقع بعد أن يطول به العمر سيتنازل عن العرش لها، ويبقى قريباً منها كملاك حارس.. يعينها ويرشدها ويغمرها بحبه مدى الحياة..

كانت صدمتها عنيفة، فطردت الوصيفة خارجاً واختلت في جناحها وهي تجهش في بكاء حار..  
بعد نصف ساعة، دلفت بي ناريا إلى غرفة الملك واتجهت إلى السرير الذي رقد فيه جثمانه.. كانت الملكة راكعة قرب السرير منخرطة في البكاء.. فركعت بي ناريا جوارها وهي تتأمل وجهه الهاديء وكأنه غارق في سبات عميق صامتة للحظة، ثم رفعت رأسها مغممة لأمها "لقد رحل.. من كان يصدق أن يأتي هذا اليوم؟"  
لم ترفع الملكة رأسها وهي تغغم باكياً "لست أدري ما أصابه.. لقد كان بآتم عافية مساء البارحة.. وراعني الخبر عندما جاءني اليوم.. فماذا جرى له؟"

غمغمت بي ناريا "يقول الأطباء إنه مرّ بأزمة قلبية في الليل سحبت روحه من جسده.. ربما كان هذا راجعاً للأخبار السيئة عن إقليم هيمانبا التي سمعها قبل أن ينفُض اجتماعه مع رئيس الوزراء"  
فقالت الملكة بحزن غاضب "تباً لذلك الإقليم.. لن نحصل منه إلا على المصائب.."

نهضت بي ناريا واقفة وهي تقول "ما حدث قد حدث.. ولا يجب أن يشغلنا عن المسؤولية التي تنتظرنا.."  
رفعت الملكة وجهها متطلعة إلى بي ناريا، فلم تر بها ما يدل على حزنها سوى عينيها المحمرتين كما بدا لها..  
إنها أعلم الناس بطبيعة بي ناريا التي تجعلها تكتم عواطفها وتغلب عقلها، لذلك حرصت على كتم حزنها



والسيطرة عليه دون أن تذرف دمعة واحدة حتى أمام والدتها.. وذلك رغبة منها في عدم إظهار ضعفها والسيطرة على أمور المملكة بقوة..

قطعت بي ناريا أفكارها وهي تقول متأملة ملامح الملك للمرة الأخيرة "ستتم إجراءات دفنه كما هو متبع بعد قليل.."

ثم غادرت الغرفة دون أن تحني رأسها مما جعل الملكة تقول بمرارة "رغم كل شيء لا أعذرك على الجفاء الذي تعاملين به موت والدك.. يا لك من قاسية القلب يا بي ناريا.. ماذا تحمل الأيام للمملكة في حكمك يا ترى؟" وخارج الغرفة وجدت بي ناريا ذراعي مانيم تتلقفانها وهو يضمها هامساً "أعلم أن مصابك كبير، لكن الملك الراحل لم يكن ليرضى برؤيتك حزينة.. أليس كذلك؟"

لكن بي ناريا أبعدته عنها دون اهتمام وهي تقول "أريد البقاء لوحدي..". وغادرت الى جناحها دون أن تلتفت لمانيم الذي ظل ينظر إليها بدهشة حانقة.. لم تكن تريد العزاء من أحد.. ولم يكن مانيم بقادر على إزالة حزنها.. بالواقع لم يكن للمسمة مانيم أي تأثير يذكر على مشاعرها، وهو ما كان يرضيها لأنها تعتبر اختلاج مشاعرها للمسمة أي رجل ضعفاً لا يليق بها..

أما مانيم فقد غمغم وهو يجتمع بعمه الوزير بعيداً عن سمع الآخرين والحنق يبدو بوضوح على وجهه "تلك الحقيرة تظن أنها في منزلة أكبر مني.. رغم ما تتظاهر به من حزن إلا أنني متأكد أن قلبها يرقص سعادة بوصولها للعرش"

قال مردين بضيق "ما كان عليك التسرع فيما فعلته.. فبي ناريا هي الوحيدة المستفيدة من هذا.. لو أنك سعيت للتخلص منهما في وقت واحد لأصبحت الوريث على العرش دون جدال فأنت الثاني في ترتيب وراثة العرش..". قال مانيم "مستحيل.. موت الملك متوقع نسبة لسنه الكبيرة.. أما موت بي ناريا فهو سيجذب لنا الأنظار حتماً ويثير الشبهات.. لابد أن أجد ثغرة تبيح لي الاستيلاء على العرش بموافقة الجميع.. ولن أسكن حتى أعرثر على هذه الثغرة.."

غمغم مردين زافراً قبل أن يغادر "لحسن حظنا أن العادة جرت ألا يتم فحص جثمان الملك حال موته إلا بشبهة قوية، وأن جناح الملك لا يخضع للمراقبة بأجهزة التصوير.. وإلا لبدا ما فعلته له واضحاً وجلياً للأعين..". قال مانيم بابتسامة ساخرة "من حسن حظي أن الملك استدعاني في جناحه بالذات، وإلا ما استطعت فعل شيء أبداً.."

في وقت متأخر من صباح اليوم التالي، تجمهر الناس قرب سور القصر البلوري وقد بدا الوجوه على وجوه الجميع، وانطلقت صرخات الأطفال وقد استشعروا الحزن السائد في المكان دون أن يفهموا سببه.. وبعد لحظات، بدأ الموكب المهيب لجنازة الملك سيره من بوابة القصر، بعد أن أعلنت الأبواق ذات الأصوات العالية الرتيبة عن مرورهم.. فانزاح الناس مشكلين صفين من الأجساد تاركة مسافة كافية لمرور الموكب..

في بداية الموكب، سارت جماعة من الحرس الملكي الخاص بزيهم الرسمي وسلاحهم المشهر، يحيطون بعربة مذهبة تحمل في قلبها جثمان الملك الذي تم الاعتناء بتجهيزه تحضيراً لدفنه في مثواه الأخير.. يجرها أربعة من

الحيوانات التي تشبه الأحصنة تسمى توكور، وإن كانت أضخم حجماً سوداء اللون بشعر طويل يصل إلى الأرض، وأذنين طويلتين تتدليان جانبي الوجه.. وخلف العربية، ظهرت بي ناريا على توكور آخر أسود اللون، وقد أرسلت شعرها دون شيء يربطه للدلالة على حزنها، وتخلت عن كل أشكال الزينة وارتدت من الثياب أبسطها، وإن احتفظت بكبريائها وشموخها دون أن تحنيه أرضاً.. وخلفها كانت والدتها الملكة على توكور آخر مع مانيم وباقي العائلة المالكة.. ثم ظهر مستشارو الملك ووزرائه.. وبقية قواد الجيش ونواب الملك في الأقاليم الأخرى ممن استطاع الحضور في هذا الوقت القصير..

اتجه الموكب إلى المقابر الخاصة بالعائلة المالكة الكائنة في طرف المدينة الشرقي، وهناك دلف الموكب إلى المقابر، فيما منع العامة من دخولها، واكتفوا بالوقوف قرب السور الحديدي المزخرف وهم يحدقون في ما يجري داخلها.. وقد ران عليهم صمت وسكون غريب..

استمرت مراسم دفن الملك لمدة طويلة.. كانت بي ناريا خلالها تحاول جهدها ألا تظهر شيئاً من الحزن أو الضعف لما حدث.. وسرعان ما انتهت المراسم، وعاد الموكب الحزين إلى القصر ليبدأ التجهيز لفصل آخر من الأحداث الكبيرة في عصر المملكة الجديد.. فصل تنصيب الملكة الجديدة على العرش، والتي طبقاً لقوانين المملكة، يتم تنصيبها في نفس يوم وفاة الملك السابق، كي لا تبقى المملكة بلا ملك يحكمها ليلة واحدة..

\*\*\*\*\*